تاريخ النقود

الناس في هذه الايام على اقسام قسم لا شريعة للتملك عندهم فيضربون في الارض كيف شاءوا يصيدون حيوانها ويجتنون ثمارها وهم قبائل كثيرة منتشرة في افريقية وبعض الجزائر. وقسم قرّروا شريعة التملك فاستقلّ كل منهم بمالٍ يذود عنه ويسعى في توفيره ولكن لا نقود عندهم فاذا احتاج احدهم شيئًا ما عند الآخر عاضهُ منهُ شيئًا من مقتنياتهِ وهذه المقايضة نوع من البيوع ولعلها اقدم انواعهِ ولم تزل جارية في اطراف هذه البلاد وفي جهات كثيرة من اسيا وافريقية. وقسم اعتمدوا على انواع من المقتنيات مقياسًا لاثمان البضائع فقالوا ان هذه البضاعة تساوي كذا خروفًا او كذا سيفًا او كذا وزنًا من الذهب او الفضة وقد سبق ذلك ضرب النقود عند اكثر امم الارض ولم يزل على قلة في بعض الاطراف. وقسم اعتمدوا على قطع موزونة من المعادن ضربوها بسكة الدولة حتى لا يدخلها الزيف وجعلوا لها قيمة مطلقة يقوّمون بها اثمان البضائع وهم كل الشعوب المتمدنة. وهذه الدرجات الاربع درجات طبيعية ترقت فيها او لم تزل آخذةً في الترقي فيها. اما تاريخ ترقيها فلم تتصلهُ صحف الاولين تفصيلاً وافيًا وما ذكرتهُ منهُ مزجتهُ بالخرافات حتى يعسر استخلاص صحيحهِ من فاسدهِ. وقد عانى الباحثون من المتاخرين اتعابًا شاقة في جميع اقاويل الاولين وتمحيصها وبذلوا الدرهم الوضاح في ابتياع كل ما عثروا عليهِ من النقود القديمة حتى وقفوا على نتيجة مرضية. وسنورد في هذه المقالة خلاصة ما اتصلوا اليهِ مما يناسب المقام معتمدين على مقالة نفيسة في هذا الباب للبُك الشهير وعلى بعض الكتب الحديثة

من رام البحث عن اصل النقود وعن اكثر وسائط العمران ازمعَ العود الى مهد المعارف والصنائع الى بلاد الصين العظيمة التي سبقت كل المسكونة الى رياض التمدن. فقد وُجد في هذه البلاد نقود ضربت فيها قبل ميلاد المسيح بنحو الفين ومئتين وخمسين سنة. ومن هذه النقود ماشكلهُ كالقميص او كالسكين كانهم كانوا يبيعون ويشترون بالاقمصة والسكاكين ثم لما انتهوا لابد ما يقطع من المعدن جعلوا شكل القطع كشكل الاقمصة والسكاكين فصارت السلعة التي تساوي عشرين قميصًا تساوي عشرين بوًّا (وهو اسم الفلس الذي بشكل القميص) والسلعة التي تساوي خمسين سكينًا تساوي خمسين تاوًا (اسم الفلس الذي بشكل السكين). ولا يخفى ان هذه النقود عسرة الحمل والنقل ولو لم ينبه لذلك وتلافاهُ الصينيون. فانهم قالوا ان النقود التي تدور العالم يجب ان تكون مستديرة. فضربوها كذلك ولكنهم سبكوها سبكًا فاضحت هدفًا للتزييف حتى انك لترى تاريخ نقود الصين مجموع اوامر على اوامر لمنع زيف النقود ولارجاعها الى ميزانها. وحدث مرةً ان نُشرَت في تلك البلاد نقود جلد تضاهي اوراق البنك في ايامنا او نقود الجلد الروسية وذلك

ان خزينتها فرغت من النقود في ايام الملك اوتي قبل المسيح بثمة وتسع عشرة سنة . وكان من عادة امرائها ان يغطوا وجوههم بجلد حينما يمثلون بحضرة الملك فارتأى وزيرهُ الاّ يغطي الامراء وجوههم الاّ بجلد نوع خاص من الغزال الابيض وان تجمع تلك الغزلان الى حمى الملك فكان يبيع جلودها للامراء باثمان غالية . فصار الامراء يقطعون من الجلد قطعةً صغيرة تدل على الجلد كلهِ ويتداولونها باثمانها كما تتداول اوراق البنك . وهذا حمل بعض الباحثين على ان ينسبوا استنباط البنك الى الصينيين وما ذلك ببعيد لان العامة لم تستعمل هذه الجلود فلم تكن شائعة كاوراق البنك . ولكن سنة ٨٠٠ للميلاد صنع الصينيون اوراق بنك حقيقية دعوها بلغتهم "فيتزين" اي نقودًا طيارة . فلم تلبث ان اصابها ما يصيب اوراق بعض الدول في هذه الايام اي انحطت اثمانها كثيرًا حتى بيع قرص الارز بما قيمتهُ ثلاثة آلاف ليرة من هذه الاوراق . وفي نحو السنة الالف بعد المسيح اتفق ستة عشر بيتًا من اغنياء الصين وانشأوا بنكًا قانونيًا ولعلهُ اول بنك حقيقي انشئ في بلاد الصين . الآن الصينيين وان كانوا قد سبقوا كل الشعوب الى التمدن لم يرتقوا فيهِ كثيرًا ان لم نقل انهم بلغوا منهُ درجةً متوسطة ثم اخذوا ينحطون منها ولم يزالوا . فان نقودهم لم تزل قليلة ولا تصلح الاّ للمعاملة بامور صغيرة واما المبالغ الكبيرة فيدفعونها سبائك ذهب غير مسكوكة . وبنوكهم ضيقة المدار مقتصرة على اصدار الصكوك ودفعها

ويعلو اهل الصين في السبق الى التمدن اهل يابان وهم وان كانوا دون الصينيين فقد استعملوا نقود الورق منذ امدٍ بعيد . قيل في المجلد التاسع والخمسين من قاموسهم العام المسمى سن تساي دن ان نقود الورق استعملت في ايام دولة سنغ ودولة يُون ولم تفِ بالغرض لان النيران كانت تقرضها والمطر يبللها والاستعمال يبريها

اما المصريون فلم تكن عندهم نقود مضروبة بل كانوا يتعاملون بقطع النحاس يزنونها وزنًا . واستخرجوا النحاس من جبل سينا منذ ايام الدولة الرابعة ولم يتعاملوا بالذهب والفضة الاّ قليلاً وربما صاغوها حلقات كالخواتم وتعاملوا بها كذلك . ومن عجيب امرهم عدم انتباههم لضرب النقود مع ما بلغوا اليهِ من اتقان الصنائع واتساع الفتوحات . واول من ضرب النقود في مصر المرزبان أرْيَنْدِس الذي ولي مصر من قبل كمبيسس وقد ضربها اقتداء بداريوس فتُقِل فيها والمرجح انهُ ضربها لاجل الفيليقيين واليونانيين لا لاجل المصريين

وكان البابليون والاشوريون يتعاملون بالفضة والذهب قطعًا موزونة غير مسكوكة ايضًا وقد وجد في جملة آثارهم المدفونة تجج وصكوك وسفائج مطبوعة على صفائح الآجر بالقلم المسفيني وهي لا تفرق عن تججنا وصكوكنا وسفائجنا جوهريًا الاّ بتعيين المال وزنًا . وهذه صورة سفتجة قرأها

المسيو لنورمان: اربع مينات وخمسة عشر شاقلاً من الفضة لاردونانا بن يأكين على مردوخ بلاّسر بن مردوخ بلاتريب من مدينة ارخو. مردوخ بلاتريب يدفع في شهر تيبت اربع مينات وخمسة عشر شاقلاً من الفضة لبلابلّين بن سنابد. ويتلو ذلك تاريخ السفجة واسماء الشهود اما تاريخها فالسنة الثانية لنابونيدس ملك بابل وكان نابونيدس هذا قبل المسيح بخمس مئة وخمسين سنة. وقد ظهر من اكتشافات مستر بسكوين وغيره انه كان عندهم بنك الشأم بيت اجيبي وشركائه في ايام سنحاريب قبل المسيح بسبع مئة سنة ودام في يدهم الى ايام داريوس

اما العبرانيون فلا اشارة صريحة في كتبهم الى النقود المسكوكة الاّ بعد رجوعهم من السبي والمرجح ان اول من ضرب النقود العبرانية سمعان المكابي باذن انطيوخس السابع قبل المسيح بمئة واربع واربعين سنة. اما الشاركل الوارد اسمه في التوراة فمن النقود الفارسية وسمي داركًا نسبة الى داريوس وعليه صورة الملك راكعًا وبيده قوس وسهم. ومن العلماء من يظن ان عزرا اوّل من ضرب النقود العبرانية وفي ذلك خلاف

هذا اهم ما يُعرَف عن النقود الاسيوية القديمة والآن نلتفت قليلاً الى النقود اليونانية والرومانية ثم نعود الى نقود الفرس والعرب وغيرهم من الامم التي تلتهم

اكثر الباحثين يقولون ان اول من ضرب النقود في اوربا فيدون ملك اجينا وينسبون اليه استنباط العيارات والاقيسة اما هيرودوتس فينسب استنباط النقود الى اهل ليديا مقاطعة في اسيا الصغرى اهلها يونانيون وانهم فعلوا ذلك قبل الميلاد بسبع مئة سنة وعليه يبقى اصل النقود اسيويًا محضًا وفي الحالين يونانيًا. وقد قوي حديثًا حزب اهل ليديا بانضمام رولنصن وهيد ولنورمان اليهم. ومن اقدم نقود الاجينيين الباقية الى الآن فلس في محل التحف البريطاني عليه صورة سلحفاة وفي رمز الاهة الجر عند الفينيقيين وكانت هذه النقود اليونانية اولاً في حد الخشونة ثم صارت ذات رونق وجمال يزري بجمال نقود اوربا في هذه الايام كما ترى في نقود فيلبس وابنه الاسكندر ذي القرنين. وقد انشأ اليونانيون في ايام رفعتهم بنوكًا لتسهيل المعاملات وكان عندهم صكوك وسفاتج مثل ما عندنا وذلك قبل المسيح باكثر من ثلاث مئة سنة

اما النقود الرومانية فاول من ضربها نوما اوسرفيوس تليوس وكانت نحاسًا ثم صارت فضة سنة ٢٦٩ قبل الميلاد وذهبًا بعد ذلك بنحو ستين سنة. ولم تكن النقود واحدة في كل المملكة حتى ايام دوكليشيان لان كل عائلة عظيمة ضربت دنانيرها لنفسها والدينار كلمة لاتينية لا عربية ولا فارسية كما يزعم البعض. وقد ادخل اليونانيون البنوك الى ايطاليا كما يظهر من استعمال كتّاب اللاتينيين القدماء الكلمات اليونانية في اعمال البنك

(سنأتي البقية)